

وسائل تخفيف منابع الكراهية!

حتى تعالج الكراهية التي تأخذ من صحتك وعقلك وضميرك، وتقصر من عمرك، وتعجل بموتك، يجب معرفة أسبابها أولاً، كالمرض!.. لأجل صحتك ودينك وعقلك... عالج الكراهية !

تتحدث بعض المقالات العلمية عن العلاقة بين عمر الإنسان والكراهية، بين صحته والغضب الخ؛ والسؤال: هل تستطيع تخفيض منسوب الكراهية لأجل صحتك؟ لأجل عمرك؟ فضلاً عن تخفيضها لأجل دينك وعقلك ومنطقك؟! فالكراهية مرض خطير مستشر؛ وخاصة في هذه الأيام.

ساعد على انتشار الكراهية وتعميقها - رغم آثارها السلبية على الصحة وعمر الإنسان - بث العصبية عبر وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الإعلامية ..كنا أيام الزمن الجميل لا نشعر بالكراهية، ونادراً ما يكره شخص آخر؛ أما اليوم فقد يكون عنك عدد لا نهائي ممن تبغضهم وتحقد عليهم؛ تكره بالجمان تكره بلا حساب؛ تكره وأنت تكتب في تويتر أو فيسبوك؛ تكره وأنت تسمع الأخبار؛ تكره وأنت (تدردش) مع مجموعة في الواتس.. الكراهية تحاصرنا من كل مكان..

هذه الكراهية تحتاج منك إلى ترشيد؛ لأجل صحتك؛ لأجل عمرك؛ لأجل أطفالك وعائلتك؛ لأجل راحتك.. احصر الذين تكرههم في ورقة؛ ثم اسأل نفسك: لماذا؟ لماذا؟ فإذا كنت تكره الملايين خففها إلى الآلاف؛ وإذا كنت تكره الآلاف خففها إلى المئات؛ إلى العشرات؛ حاول أن تخفف ما أمكن لأجلك صحتك؛ وليس لأجل الآخر؛ وأبلغ ما يؤثر على صحتك هو بغض الأقربين؛ كالغضب أو البغضاء بين الزوجين؛ أو بين الوالدين والابناء؛ أو بين الأخوة.. هذه لابد من معالجتها سريعاً؛ ثم تأتي الكراهيات (المجانية) التي تبثها القنوات والمنابر ووسائل التواصل الاجتماعي؛ وهي؛ رغم أنها أبعد؛ إلا أنها أوسع ، لأنها حقد وغضب دائم. ولها حل.

أيضاً؛ احضر ورقة واكتب الذين تبغضهم؛ من أشخاص أو مذاهب أو تيارات أو حتى دول؛ ثم سائل نفسك؛ لماذا هذا كله؟ تعب مجاني.

ألا يمكن تخفيض هذا؟ على قدر عقلك ومعرفتك بدينك والتزامك بأخلاقك؛ قد تستطيع تخفيض هذه المجموعات الهائلة - من المكروهين العبيثين المجانين - إلى عدد محدود جداً. ولكن؛ ما وسائل تخفيض منسوب الكراهية؟ هل هناك وسائل محددة تعينك على تخفيض منسوب الكراهية التي تأكل من صحتك وعمرك وعقلك ودينك وكل شيء؟

الجواب: نعم. هناك وسائل بحسب الأسباب، أي بحسب أسباب الكراهية، فلكل سبب كراهية وسيلة علاجية؛ إنما الوسيلة الأهم هي الإرادة الصادقة؛ إرادتك أنت! فإذا كنت شغوفاً بالكراهية والأحقاد ومحباً لها، فهذا الشغف كالإدمان، طارد للحلول، كاره لها، إذ يضيف (كراهية الحل) إلى تلك الكراهيات المجانية؛ وهذه الكراهية للحلول أو بغض الوسائل الشافية من الأمراض هو أخطر الأمراض، وهذا يجعلك أنساناً غير سوي، لا يستطيع السماع ولا يريد أصلاً.. فهذا النوع الأول (المرتاح للكراهية/ المتعبد بها / الباحث عنها) لا ينفع فيه أي علاج، وسيهلك صحته ويقصر عمره ويراكم ذنبه ويمسخ نفسه، فدعوه.

النوع الثاني: يشعر أن هذه الكراهية والأحقاد تضر بصحته وتقتصر من عمره وتعكر حياته، وهو يتمنى لو أنها ليست فيه، فهذا يمكن أن يجاهد نفسه وينجح والمجاهدة تكون بالمعلومة (تصحيح المعلومات المغلوطة)؛ فإذا استطاع - هذا الصنف الثاني - أن يطور من معلوماته ويفهم الذين يكرههم فقد يخفف عن نفسه؛ وهناك نوع ثالث - وقد يكون أغلبهم من العامة - لا يستطيعون المعرفة ولا يهتدون سبيلاً، فهؤلاء عندهم نية صادقة؛ لكن لا يستطيعون رفع الركام الثقيل؛ وهؤلاء - الصنف الثالث الطيب البسيط - هم في ذمة الذين ضللوهم وأشعلوهم بالكراهيات المجانية على ما لا يعرفون ولا يفهمون؛ والقَتلى منهم يومياً؛ أعني؛ أن الأمراض من ضغط وسكر وهموم ... تسهم في قتلهم يومياً؛ وسيكونون من جملة القتلى الذين يقع ذنبهم على رواد الكراهيات المجانية وناشرها..

لذلك؛ فأنت كاهن في الأسرة؛ أو خطيب في منبر؛ أو مذيع في قناة؛ أو مغرد في تويتر؛ أنت مسؤول عن الكلمة الصادقة - التي تبني النفس والعقل - وعن ضدها؛ مما يراكم الكراهيات والأحقاد ويسهم في توافد الأمراض وتقصير الأعمار والانشغال عن الواجبات والمستحبات إلى المحرمات من قطيعة وضياع حقوق الخ ..التوازن مطلوب؛ والكلمة الصادقة أمانة؛ والتضليل جريمة؛ ومن أخرج نفسه من هذه الشبكات الشيطانية المغرية بأنواع العداوات والبغضاء، فقد أبصر لنفسه..

وعلى كل حال: فالمرحلة الأولى أن تكون جاداً صادقاً في معالجة الكراهية واستكمال جوانب النقص في شخصيتك، لا تكن أمعة، اقرأ واسمع وفكر ووازن ..وبعد ذلك، ستجد أشياء قليلة جداً قد تستحق الكراهية (وياليت تبحث عنها شرعاً)؛ ولكن؛ قطعاً ستجد أكثر الأمور لا تحتاج منك كراهية ولا يحزنون.

(اللسان سبغ؛ فإذا أُخْلِجَ عنه عَقْرُ)
-الإمام علي-

(إذا أقبلت الدنيا على أحد؛ أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه؛ سلبتة محاسن نفسه)
- علي بن أبي طالب-

ومن أقواله العجيبة: من ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد
-ما كل مفتون يُعائب

-فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه
-آلة الرياسة سعة الصدر.

فالمرض لا يستطيع الطبيب معالجته حتى يعرف أسبابه؛ فإذا كان سببه ضعف المناعة أعطى المريض ما يرفعها؛ وإذا كان السبب سوء التغذية أمره بالأكل الصحي؛ وكذلك إذا أردنا معالجة الكراهية، لا بد أن نعرف أسبابها؛ وهي اليوم تأكل الأخضر واليابس، وقد دخلت داخل كل أسرة وفتكت في الناس، وتحزبوا على ضوئها؛ وأسباب الكراهية اليوم كثيرة، لكنها تتلخص في ثلاثة أمور:

١- أسباب دينية / ومنها المذهبية.

٢- أسباب سياسية / ومنها الحزبية .

٣-أسباب مادية / مصلحة.

فالأَسباب الدينية للكراهية على أنواع؛ منها الكراهية بين أتباع الأديان (مسلمين / نصارى / يهود / الخ)، فهل أسباب كراهيتهم لبعضهم مبررة؟ أم لا؟ وكذلك الكراهية الجزئية (بين أتباع الدين الواحد)، مثل الكراهية بين السنة

والشيعة، هل هناك أسباب مبررة لها أم لا؟ وهل هناك علاج قرآني شامل؟
ثم الأسباب السياسية والاجتماعية والمادية (مصالح ومنافسات) وغير ذلك، فأسباب الكراهية اليوم متكدسة وتأثيرك لتمرصك وتقصير عمرك وتهلكك بلا فائدة..

دعونا نحاول أن نعرف من القرآن سبل (تخفيف الكراهية الدينية)؛ أي التي يتم دعمها بالدين عن جهل أو قصد؛ فهي أهم الكراهيات وأدومها وأكثرها خداعاً.

لتخفيف الكراهية الدينية (المذهبية) يجب أن تعرف عدة قواعد تخفف بها عن نفسك حتى لا ترضها بلا مبرر شرعي ولا عقلي ولا فطري ولا شيء، بل ستأثم:

القاعدة الأولى:

لم يوجب الله عليك (لا في دين ولا مذهب) أن تكره الآخر على أساس ديني أو مذهبي أو فكري.. إلخ، ومن زعم ذلك فقد كذب على الدين.

القاعدة الثانية:

ضع نفسك مولوداً مكان هذا البوذي أو المسيحي أو اليهودي أو المسلم؛ أو مكان هذا الشيعي أو السلفي أو الصوفي.. إلخ؛ ماذا ستفعل؟

القاعدة الثالثة:

ليس عليك هدى أحد، وإنما عليك هداية نفسك؛ لا تطمع بأخذ شيء قد منعه الله من رسوله (إنك لا تهدي من أحببت)؛ (إنما عليك البلاغ).

القاعدة الرابعة:

تعلم سنة الله في الابتلاء والفتنة والتمحيص، دع سنة الله تجري؛ لا تحاول إيقافها، فإنك أعجز؛ لا تحاول إبطالها؛ فإنك أجهل.

لاحقاً: سنذكر الأدلة على كل قاعدة ومن القرآن الكريم، أدلة خفيت على الناس أو أخفيت عنهم؛ فكلفوا أنفسهم بالمعاصي، و جلبوا لها الضراء بالمجان.

وسائل تخفيف منابع الكراهية! - الجزء الثاني

وسائل تخفيف منابع الكراهية!

الجزء الثاني -

ذكرنا في الجزء الأول، أننا لا نستطيع تخفيف الكراهية إلا إذا علمنا أسبابها؛ ثم مناقشة شرعية تلك الأسباب. وقلنا بأن أسباب الكراهية إما دينية؛ ومنها المذهبية؛ وإما سياسية؛ ومنها الحزبية.. وإما دنيوية (مصالح ومنافسات)؛ ثم أسباب أخرى، اجتماعية، رياضية.. ثم وعدناكم بمناقشة أسباب الكراهية الدينية (ومنها المذهبية)؛ ثم دراسة هذه الأسباب، من حيث تسويقها للكراهية من عدما؛ ثم السياسية.. ثم الأخرى.

نبدأ اليوم بالأسباب الدينية؛ أي التي تنسب إلى الدين؛ سواء للدين نفسه - بالزعم أن الدين يوجب هذه الكراهية -

أو المذهب؛ بأن عقيدة المذهب ترى هذا.. والمذهب لا يهمننا كثيراً؛ وإنما يهمننا دين الله، هل يأمرنا بالكراهية أم لا؟ فإذا تبين أن الدين لا يأمرنا بمعاداة إلا المعتدي، فالمذهب أمره سهل؛ وقد كتبنا ما خلاصته:

(أن دين الله الخاتم - الإسلام - دين فطري، لا يبيح لك معاداة ولا كراهية ولا البراءة إلا من المعتدين؛ مسلمين أو غير مسلمين)؛ أي أن الإسلام - دين الفطرة - لا يبيح لك بغض الآخر على أساس دينه؛ وإنما على أساس معاملته السيئة؛ كما لا يوجب عليك محبة مسلم ظالم أو معتدٍ.. الخ..

أضرب أمثلة:

١- أنت ذهبت بوالدك إلى المستشفى فوجدت طبيباً مسيحياً أو بوذياً أحسن استقبالكم واهتم بأمر والدك وأحسن العلاج... ستضطر فطرياً لحبه؛ هذه الفطرة تتوافق مع الإسلام؛ فاطمئن. وليس هناك أي دليل قرآني على وجوب بغض من أحسن إليك، وسأذكر آيات البراءة وكيف يحرفونها عن الفطرة.

٢- أنت ذهبت بوالدك المريض إلى مستشفى، ووجدت طبيباً مسلماً، لم يهتم بأبيك وتركه مهنماً على السرير حتى مات.. فكيف يجب عليك محبته؟ ستبغضه؛ وهذا البغض فطري، أنت تبغض فيه هذا الإهمال؛ وهذا الغش لأمانته؛ وهذا التكبر والتسيب؛ وهذا القتل البطيء لوالدك..

كراهيتك له فطرية؛ لا إشكال فيها.

إذا؛ فالإسلام دين فطري؛ لا يجبرك على كراهية من أحسن، ولا على محبة من أساء؛ وليس هناك دليل قرآني يعكس هذه الفطرة؛ ولا حديث صحيح؛ ولا عقل صريح؛ الأدلة القرآنية توجب عليك البر والاحترام والمحبة لغير المسلم الذي لم يعتد عليك؛ فضلاً عن غير المسلم الذي يحسن إليك! هي الفطرة والدين؛ فاطمئن.

سأستعرض أهم آيتين يستدل بهما الغلاة والمتطرفون في وجوب البغض والبراءة والكراهية للآخر - أي آخر - وأثبت تحريفهم؛ وربما كذبهم على دين الله؛ وعذراً أنني قلت (كذبهم على دين الله)؛ لأن هذا واقع؛ ولكن الكذب أنواع، فمنه ما يكون بجهل وتقليد، ومنه ما يكون بتعمد؛ وهو أشد؛ ولكن؛ لا أعلم النيات.

الآية الأولى:

قوله تعالى { : لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة ٢٢]

هذه ليست في بغض المختلف عنك في الدين؛ كلا؛ هذه في وجوب البراءة من الأعداء المحاربين (الذين يحادون الله ورسوله)؛ بدليل ما قبلها بآيات قليلة تخبر عن ولاء بعض المسلمين للكفار المحاربين؛ وهو قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [المجادلة: ١٤]؛ والقرآن فيه أمثال هذا كثير؛ فبعض الصحابة كانوا يسرون بالمودة لكفار قريش؛ كما في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ } [الممتحنة: ١]؛ فهؤلاء يوادون ويسرون بالمودة ويتلون (كفار قريش المحاربين)؛ ولا يتولون خزاعة أو أي قبيلة أخرى سلمية؛ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً؛ كان النبي صلوات الله عليه وعلى آله وكذلك خلص أصحابه، يعانون من طابور خامس من المؤمنين (صحابه) يسرون بالمودة إلى الكفار المحاربين من قريش؛ وهذا الإسرار بالمودة، والإلقاء بالمودة، واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، سجله القرآن وسكت عنه التاريخ ، فهؤلاء نعم يعاكسون دين الفطرة؛

وانظروا إلى الدلالة في قوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم)؛ أي كيف تحبون من يعاديكم ويقمع حرياتكم ويخرجكم من دياركم؟ واضح.

وهؤلاء المخلون بالولاء والبراء هم ناس من المؤمنين - إيماناً عاماً أيام النبي - أخلوا بالولاء والبراء فوالوا قريشاً وتناجوا بمعصية الرسول؛ فهؤلاء قطعاً خالفوا الفطرة؛ لأنك - فطرة - لن تحب وتوالي من أخرجك من ديارك وحاربك واستولى على أموالك... هذا أمر مشين ويدل على أن إيمانهم ضعيف؛ وهذه الآية يستدل بها التيار المتطرف على وجوب بغض وكرهية المسلم والمسلم؛ والغريب أنك لو كشفت لهم هؤلاء (المخلين) لرموك بالبدعة والضلالة! بمعنى؛ لو تكشف لهم أن هذه الآية نزلت في (بعض المهاجرين ممن هاجروا لدنيا يصيبونها)؛ لصاحوا: الصحابة الصحابة.. طيب يا أخي؛ عقيدتك أولى أم القرآن؟

والدليل أن هؤلاء المخلين بالولاء والبراء هم بعض المهاجرين؛ قوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم)؛ قريش لم تخرج الأنصار من مكة؛ إنما أخرجت المهاجرين؛ والآية التي يستدلون بها فيها ما يدل على هذا؛ من ذكر العشيرة والأقرباء؛ والأنصار ليس لهم أقرباء ولا عشائر بمكة، إنما المهاجرون؛ راجعوا الآية؛ وهي **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** {المجادلة: ٢٢}؛ أي الفريقين لهم عند كفار قريش آباء وإخوان وعشيرة؟ الغريب؛ أن هؤلاء المخلين بالولاء والبراء من المهاجرين (لدنيا يصيبونها) أنتجوا من يبرئهم ويجعل الآية التي نزلت فيهم نازلة في كل بريء من غيرهم! فإذا كان التيار المتطرف صادقاً في الولاء والبراء؛ وأنه من الشرك؛ وأنه ضد عقيدة التوحيد؛ وأنه... الخ؛ فيبدأ بمن نزلت فيهم الآية؛ لكنهم يرفضون! نعم؛ المهاجرون لله ورسوله ليسوا هم؛ وأنصار الله ورسوله لا تتناولهم؛ إنما تتناول من يسرون بالمودة والولاء لمن أخرجهم وأخرج الرسول من ديارهم؛ وهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآيات هم جزء من الحلف العظيم الذي تحدثت عنه سورة التوبة؛ وقد شرحناه في عدة أجزاء؛ والتيار المتطرف يأبى ذلك كله؛ فمن الذين يحادون الله ورسوله يجعلون لها حدوداً لا يتعدونها.. أهم التيار المتطرف الذي يأبى الخضوع لصريح القرآن؛ أم ناشرو المحبة لمستحقيها؟ إذا؛ فهذه الآية التي يحذرنا بها التيار المتطرف من الشرك، هي تتناولهم وتتناول سلفهم المخلين بها؛ ولا تتناول الذين يحبون المحسنين المسلمين. وقد ذكرت لكم في تدبر سورة التوبة أن الثقافة النفاقية قد أنتجت من يرمي النفاق على الأبرياء ويبرئ المنافقين؛ وكذلك في موضوع الولاء والبراء.

الآية الثانية: الآية الثانية التي يستدل بها الغلاة والمتطرفون على وجوب بغض الخالف والبراء منه وكرهيته؛ ويجعلونها عمدة في الولاء والبراء؛ هي قوله تعالى **لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَّهْ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)** {الممتحنة: ٤}.

وهذا العداوة والبغضاء والبراءة من إبراهيم ومن معه أمر فطري بعد أن هموا بإحراق إبراهيم؛ فإبراهيم عليه السلام ومن معه؛ لهم الحق الكامل فطرياً وعقلياً ودينياً؛ أن ييغضوا ويكرهوا ويتبرءوا من القوم الذي قذفوا إبراهيم في النار! فهذا عدوان واضح، يوجب على كل ذي فطرة وعقل ودين ومروءة أن ييغض من اعتدى عليه وأراد إحراقه حياً.. لا أرى أي مشكلة هنا؛ ثم المفاجأة الثانية؛ أن هذه الآية أيضاً موجهة لبعض المهاجرين الذين أمرهم الله بأن يتخذوا

إبراهيم ومن معه أسوة، وألا يسروا بالمودة لمن أخرجهم من مكة؛ اسمع السياق يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا أُسْتَغْفِرُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) } (الممتحنة: ١ - ٤]

تماماً، فهم قسم من الصحابة المهاجرين الذين (هاجروا لدنيا يصيبونها)؛ بدلائل كثيرة وصریحة؛ منها:

١- يخرجون الرسول وإياكم.

٢- إن كنتم خرجتم في سبيلي.

٣- وذكر أيضاً الأرحام والأولاد...

كل هذا في المهاجرين؛ لا الأنصار؛ وإلى الآن لا أعرف أسماء هؤلاء؛ لكن يهمني أن اتبع ما أنول الله كما هو، فالقرآن له الولاء المطلق؛ ومن تضايق من هذه الآيات رافة هؤلاء؛ فهو الذي عنده خلل في الولاء والبراء؛ فهو يضيق صدره بالآيات الصريحة ويوالي الذين كانوا يسرون بالمودة الخاصة للمحاربين الذين كانوا يحاربون الله ورسوله! فالغلاة ليس معهم إلا هاتين الآيتين اللتين يرفضون تطبيقهما على من نزلت فيهم، ويتعسفون في تطبيقهما على من لم يوال محارباً ولا معادياً!

عناد.

الغلاة والمتطرفون يشرعون كراهية من أمر الله بالبر به؛ ويشرعنون محبة من كان يسر بالمودة للذين كفروا؛ هؤلاء الغلاة أحد إفرازات ثقافة النفاق؛ وثقافة النفاق مؤثرة جداً حتى أيام النبي، لدرجة أنهم شقوا الصحابة نصفين (فمالك في المنافقين ففتين)؟ ولهم منهم سماعون (وفيمك سماعون لهم)!!

ومن نتائج ثقافة النفاق هؤلاء الغلاة والمتطرفون؛ الذين أبقاهم الشيطان على محبة أوليائه ودفعهم كراهية أولياء الله المسلمين!

الشيطان معقد جداً.

أما الآيات في جواز - بل شرعية - البر والقسط وحسن المعاملة مع المسلمين؛ بل ومحبتهم؛ فكثيرة جداً، ومنها في السياق السابق نفسه؛ آيتان صريحتان جداً وهما:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٨) [الممتحنة]؛ هذه الآية الأولى؛ وهي واضحة وفطرية (من لم يعتد عليك فعامله بالبر والقسط)؛ وبس.

والآية التي بعدها تؤكد أكثر وهي: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٩) [الممتحنة]

الأمر واضح؛ فالدين فطري جداً؛ لا يأمرك إلا بما تمليه عليك فطرتك السليمة؛ أي: (من لم يعتد عليك فبر به وأقسط إليه؛ ومن اعتدى عليك فلا تجوز لك مولاته ومودته).. هل رأيتم ديناً أوضح من هذا؟

إنه الإسلام؛ دين الفطرة. لكن الشيطان وأوليائه - من المنافقين والظالمين والمفسدين - كلفونا بالضد مما أمر الله به؛ إذ أمرونا بكراهية من أمر الله بالبر به والقسط معه مودته؛ وأمرونا بحبة من كان يسر بالمودة للذين كفروا وأخرجوه من دياره ..الخ.

شيء عجيب جداً!

هذه أبرز آيتين يحتج بهما الغلاة، وقد رأيتهم في الأمر بهما إنما هو تزوين شيطاني ليتم التستر على من فعلوها أول مرة؛ الشيطان عدو مبين؛ فهو يريد لك أن تخالف فطرتك؛ يريد أن ترى الدين صعباً ضيقاً ظالماً ضد الفطرة والعقل والضمير؛ هو يريد لك هذا الشقاء والمشقة؛ والله يريد بك اليسر.

أما الأحاديث؛ فلا يصح حديث في وجوب كراهية أو البراءة ممن أحسن إليك؛ بل ولا في كراهية من سالمك ولم يعتد عليك؛ من أي دين أو مذهب أو تيار.. فإذا علم المسلم بهذه الحقيقة الدينية الفطرية؛ سيراتح؛ ويلقي عن نفسه ما أوجبه الشيطان عليه من الشقاء والضنك والعنت؛ ويرتاح من كثير من الكراهية..

هذه الكراهيات والأحقاد المجانية هي شيطانية الأصل؛ زرعتها من زمان عبر ثقافات مزخرفة؛ ظاهرها الدين والإيمان، وباطنها النفاق وعناد النص والفطرة.

وإلى اللقاء في الجزء الثالث؛ وسيكون تحت عنوان (ليس عليك هدام)؛ حتى لا تظن أن الله منحك ما منع منه رسوله الكريم؛ تواضع (إنما عليك البلاغ).

وسائل تخفيف منابع الكراهية! - المذهبية: السنة والشيعة نموذجاً - الجزء الثالث -

وسائل تخفيف منابع الكراهية!

- المذهبية: السنة والشيعة نموذجاً -

الجزء الثالث-

تحدثنا عن بعض وسائل تخفيف الكراهية الدينية (أديان)؛ واليوم نتحدث عن المذهبية.

الكراهية المذهبية تشبه الكراهية الدينية؛ وكلها لم يأمر الله بها؛ إنما أمر الله بمعاداة من يعاديك على أساس جنائي، لا من يختلف معك على أساس فكري؛ بمعنى؛ أنه إذا اعتدى عليك كافر أو مسلم، سني أو شيعي، هنا يحق لك فطرياً ودينياً وعقلياً أن تعاديه، أما المسلم؛ من هذا أو هذا؛ فلا يجوز إلا البر.

أنا أعرف أن غلاة المذاهب لهم كلام طويل في وجوب بغض الآخر المذهبي ومعاداته؛ ولكن؛ كلامهم هذا تشريع مذهبي مزخرف؛ لا ديني أصيل؛ قوانين وضعية فحسب. ووسائل معالجة هذه الكراهية تشبه وسائل معالجة الكراهية الدينية؛ يتك علاجها بالإسلام الأول وبالعقل؛ أما الإسلام الأول؛ فقد سبق أن الله أمر في القرآن الكريم بالبر مع المختلف دينياً والقسط معه، فضلاً عن المختلف مذهبياً؛ وليس هناك دليل - لا من قرآن ولا سنة - على وجوب هذه المعادة المفتعلة؛ وأما عقلياً؛ فنقول للسني والشيعي؛ تصور أنك مولود في بيئة الآخر وظروفه، صدقي ستكون النسخة نفسها من الاعتقادات والأفكار والطقوس، فلا تكابر.

أسمع كثيراً من المحرضين - من الطائفتين - قلوا أو كثروا؛ كلهم يفهمون الموضوع خلاف القرآن والعقل؛ كلهم ينطلقون من المذهب، ويتلونون حسب الظروف؛ المشكلة عندي في الضحايا، الذين يهلكون أنفسهم بتقليد هذا الطرف

المغالي أو ذاك؛ لا قدرة لهم لى البحث؛ ولا انفكك لهم عن واقع ضاغط ورأي عام سائد؛ أما مسؤولية الحكومات فتكن في نشر الوعي بثقافة الاختلاف؛ وأن الله هو من يحاسب الجميع؛ وأنا - كحكومات - مسؤولون عن الجنايات فقط؛ لا عن الأفكار. وأما مسؤولية أهل العلم فهي أعظم؛ ولكنهم أبعد عن القيام بالواجب؛ فلا يتحاورون؛ ولا يوظفون المشتركات؛ ولا يستلهمون قطعيات الكتاب ولا عدالة السيرة؛ القصة خلاف طويل - عمره ١٤ قرناً - حول الأولى بالسلطة والحكم؛ أو ما يسمى (الخلافة أو الإمامة العظمى)؛ فريق مع الغدير؛ وآخرون مع السقيفة .. وبس. كل الخلافات المتبقية هي من نتائج هذا الخلاف القديم؛ فكل مذهب زياداته وخرافات وغلوه في أشخاص وحطه من آخرين؛ ولا دواء لهذا إلا بالحرية الفكرية؛ في الغرب والشرق آلاف الأديان والمذاهب، ولا يشكل عندهم هذا أية مشكلة؛ كل له دينه؛ كل له مذهبه؛ كل له قناعته.. الخ؛ والحقوق والمواطنة للجميع؛ كم في أوروبا من أديان ومذاهب؟ كم في أمريكا؟ كم في الهند؟ كم في الصين؟ ومع ذلك؛ لا نحس بهذا أبداً؛ ولا تشكل لهم أي مشكلة من أي نوع. وهذا الذي يجري في أوروبا والصين والهند وأميركا وكل شعوب الأرض؛ قد جرى في أيام النبي صلوات الله عليه وآله، فكان فيه المؤمنون والمنافقون والأعراب والمرجفون والمتربصون والمذبذبون واليهود والمجنيين لليهود والسماعين للمنافقين والطلقاء.. الخ؛ أيضاً؛ لم ينقص هذا من حقوقهم شيئاً؛ النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، لم يعاقب منافقاً على نفاقه؛ ولا أعرابياً على جفائه؛ ولا متربصاً على تربصه؛ ولا يهودياً على يهوديته.. الخ؛ كان النبي مع القرآن أبلغ حجة وأعظم برهاناً ومع ذلك؛ لم يفرض الله ولا رسوله على الناس الهداية، وإنما كان على النبي البلاغ فقط؛ وعلى الله الحساب؛ فكيف يأتي اليوم متطرف - من هذا المذهب أو ذاك - ويريد فرض رؤيته وتطرفه وجمله على الجميع؟ هذا جنون؛ لا يضبطه إلا القانون؛ والقانون العادل أيضاً؛ بمعنى؛ أنك لا تستطيع أن تفرض على يهودي ولا مسيحي ولا سني ولا شيعي أن يلتزم بقناعتك وأفكارك، وهو نفس الشيء؛ لكن الشيطان يعد أولياءه الغرور؛ كانت الحرية أيام النبي وفي مجتمع النبي قد بلغت الذروة؛ لا عقوبة على منافق ولا مرتد ولا مستهزيء بالله ورسوله وكتابه؛ إنما العقوبة على الجناية؛ سأعطيكم أمثلة:

المثال الأول: ما رأيكم لو جلستم مجلساً تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها؟ ما هي عقوبة هؤلاء عندهم؟ طبعاً الجميع سيقول يجب تقديم هؤلاء للمحاكمة؛ يجب استنابتهم؛ يجب قتلهم؛ يجب يجب... الخ.. مهلاً مهلاً؛ يجب في أي شرع؟ في أي دين؟ وفق أي كتاب؟ وأي سنة؟ أجيبوني؟

إذا قالوا وفق القرآن؛ أو وفق شرع الله؛ إذا قالوا فقد كذبوا على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً)؛ وسيكونون أكثر ذنباً من المستهزين؛ لماذا؟ لأن الله نفسه، قد ذكر هذه الحالة وأعطاكم الواجب؛ لكنكم تشرعون من عند أنفسكم؛ لهواكم؛ لمذاهبكم؛ لغضبكم؛ ومن شرعن لهواه فقد كفر عندهم.

حسناً؛ ما الحكم القرآني في حق هؤلاء؟ أي؛ في حق الذين يستهزؤون بآيات الله ويكفرون بها؟

الجواب: هذه الحالة ذكرها القرآن وذكر الواجب فيها؛ فاسمع؛ يقول تعالى { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ

آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا } ؛ ما الحكم يارب؟ الحكم هو { فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ }

[النساء: ١٤٠].. فقط؟؟؟ فقط؟؟؟

نعم؛ فقط؛ رغم أنك أنت ومذهبك وجهلك! من لم يرض بحكم الله وأراد المزايدة على الله ورسوله وشرعن لهواه وغضبه؛ فهو أظلم من هؤلاء؛ لأن الله يقول (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً)؛ احذروا من أن تشرعنوا لهواكم؛ لغضبكم؛ لجهلكم؛ لا تكذبوا على الله من أجل أن تشفوا عليكم؛ لا تزايدوا على الله ورسوله أيها الكاذبون؛ فالآية

محكمة؛ هل تظن أيها الجاهل الأحمق الظالم أنك أحرص على دين الله من الله؟ وأحرص من رسوله؟ أتظن أن الأحاديث المضادة للقرآن والفتاوى ستنتفعك يوم الدين؟ قد يقولون: هذه في أول الإسلام ثم نسخت؛ نقول: هذا كذب؛ بل نزلت هذه الآية في مكة والمدينة؛ في غاية الضعف وذروة القوة؛ فالله ليس انتهازياً مثلكم؛ فالآية نزلت في سورة الأنعام آية (٦٨) أيام الضعف والذلة؛ وأعادها الله في سورة النساء آية (140) أيام القوة والانتصار؛ فلا تقف ما ليس لك به علم؛ فإذا كان الله قد أمرك أنت أيها المؤمن بتجنب مجلسهم فقط؛ فلماذا تزيد أنت؟ أنت أعلم أم الله؟ (قل أتعلمون الله بدينكم؟) تبا للجهل والغرور.

وإذا قال قائل: هؤلاء كفار؛ نقول: كذبتم أيضاً؛ ففي غزوة تبوك لم يكن مع النبي كفار يغزون؛ وكان فيها (قل أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)؟ والذي قال (ليخرجن الأعز منها الأذل) لم يكن من الكفار أيضاً، كان داخل جماعة المسلمين؛ وفي كل هذا لا قتل ولا حبس ولا استتابة ولا منع عطاء ولا شيء؛ وإذا حصل هذا؛ ورأينا التشريع من الله والتطبيق من رسوله؛ فما دون الاستهزاء بالله ورسوله وآياته من قناعة - ولو كانت نفاقاً - لن تكون فيه عقوبة؛ أعني لا عقوبة دنيوية عليه؛ وإنما عقوبة أمثال هؤلاء عند الله لا في الدنيا؛ أما في الدنيا فتبقى لهم الحقوق؛ في الدنيا العقوبات على الجنايات فقط.. هنا إذا كنت مؤمناً حقاً فلا بد أن تضبط نفسك وفق ما شرعه الله وطبقه رسوله؛ لا بالمزاج؛ ولا الهوى؛ ولا المزايدة؛ ولا وضع الأحاديث أو تطريز الفتاوى.. وعلى هذا كله؛ فلا يحق لسني ولا شيعي أن يقتل لغضبه وهواه؛ أن يفرض عقديته لغضبه وهواه؛ بل لا يجوز له أن يكره بالهوى والعصبية؛ فإخوانه ليسوا كأولئك..

أعني؛ أن هذا المسلم - سنياً كان أو شيعياً - يحب الله ورسوله؛ ولا يعقد قلبه على استهزاء بالله وآياته ورسوله؛ وإنما هي قناعات يتدين بها؛ أخطأ أو أصاب.

القليل جداً من السنة والشيعة مغالون؛ لكن الكثير جداً - للأسف - ساكت عن هؤلاء المغالين؛ وقد يشارك المعتدلون بقصف المغالي الآخر ونسيان غلاة مذهبه؛ والغلو أنواع؛ أبلغها الكذب على الله ورسوله في الجنايات؛ ثم الكذب على الله ورسوله في الأفكار؛ ثم التشريع للهوى والمذهب؛ وبعث عصبية الجاهليات؛ دعواتنا لكل المسلمين بأن يلهمهم الله وضع الشيء حيث يضعه الله؛ لا حيث تضعه البيئة أو المذهب؛ وأن يلهمهم الله الصبر على أمر الله..

وشكراً لكم